مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(فيليبي ٤: ٤–٩)

يا إخوةُ افرحوا في الربِّ كُلَّ حينٍ وأقولُ أيضاً افرحوا* وليظهَرْ حِلمُكُم لجميع الناس. فإنَّ الربَّ قريبٌ* لا تهتمُّوا البتَّةَ بل في كلِّ شيءٍ فلتكن طلباتُكم معلومةً لدى الله بالصلاةِ والتضرُّعِ مع الشكر* وليحفظْ سلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ قلوبَكم وبصائرَكم في يسوعَ المسيح* وبعدُ أيُّها الإخوةُ مهما يكُنْ من حقٍّ ومهما يكن من عفافٍ ومهما يكن من عدلٍ ومهما يكن من طهارةٍ ومهما يكن من صِفةٍ مُحبَّبةٍ ومهما يكن من حُسنِ صيتٍ إن تكن فضيلةٌ وإن يكن مَدحٌ ففي هذه افتكروا* وما تعلَّمتموهُ وتسلَّمتُموه وسمعتموه ورأيتموه فيَّ فبهذا اعمَلوا. وإلهُ السلامِ يكونُ معكم.

الإنجيل

(يوحنا ١٢:١–١٨)

قبل الفصح بستة أيامٍ أتى يسوعُ إلى بيتَ عنيا

الخميس العظيم المقدس

بعد اجتيازنا الصوم الأربعيني، محاولين الإلتصاق بالرب يسوع من خلال الثبات في وصاياه، ومطهّرين أنفسنا من كلّ ما يعيق مسيرتنا نحوه، نصل إلى النقطة الحاسمة؛ هل نرافقه على طريق الصليب «فنُصلب معه ونموت من أجله» (إينوس الختن الأول)؟ أم نجحده مثلما فعل بطرس؟ هل نسلمه كما فعل يهوذا، أم نعترف له بخطايانا صالبين أنفسنا مثل اللص على الصليب فندخل إلى ملكوته؟

هذا بالضبط ما تحاول الكنيسة نقله إلينا في خِدَم الأسبوع العظيم المقدّس حيث تتسارع الأحداث ويصير استباق للوقت (لا ننتظر صباح الإثنين لنبدأ بالخدمة الليتورجيّة، بل نبدأ من مساء أحد الشعانين فنقيم صلاة سَحَر الإثنين، وهي خدمة الختن الأولى)، وتضعنا أمام الأحداث الخلاصيّة منتظرة منا جواباً عليها.

هنا لا بد من الإشارة إلى مبدأين أساسيّين في خدمنا الليتورجيّة، وهما «الذكرى» و«التبنّي». ما معنى ذلك؟ نحن عندما نذهب إلى الكنيسة لا نذهب بهدف مشاهدة عرض مسرحيٍّ أو فيلم سينمائي، ثم نخرج وكأن شيئاً لم يحدث لنا. عندما ندخل الكنيسة تُعرض أمامنا الأحداث الخلاصيَّة، أي تذكرنا الكنيسة بها، وهي «الذكرى» (راجع مثلاً أفاشين الكلام الجوهري في خدمة قداس القديس يوحنا الذهبي الفم)، ونحن نجيب «آمين»، معنى ذلك أننا قبلنا هذه الأحداث، أي أنّنا تبنّيناها، وهذا هو «التبنّي». نتيجة لذلك نصير نحن أنفسنا مشتركين فيها، ونعبّر عن ذلك بقولنا: «اقبلني اليوم...»، «اليوم صار الخلاص للعالم...». أي أن الكنيسة لا تنقل الحدث إلينا فقط، بل تنقلنا نحن إلى الحدث وتدخلنا فيه لنحياه.

هذا ما يحصل في خدمة الآلام مثلاً، وهي الخدمة المعروفة «بأناجيل الآلام». ففيها تكثيف لما حدث مع الرب يسوع ابتداءً من حديث الرب الأخير لتلاميذه مروراً بالتسليم والمحاكمة وصولاً إلى الصلب والدفن، من خلال قراءة المقاطع الإنجيليّة كلّها التي تتعلّق بالآلام (إثني عشر مقطعاً) مع ما يرافقها من صلوات تحثّ المؤمن على أخذ القرار: هل يقبل ربّ المجد المرفوع على الصليب ويعترف بخطاياه مثل اللص على

العدد ٢٠٠٦/١٦

الأحد ١٦ نيسان

أحد الشعانين

تذكار القديسات الشهيدات أغابي وإيريني وشيونية الأخوات العذارى

حيث كان لعازرُ الذي ماتَ فأقامهُ يسوعُ من بين الأموات* فصنعوا له هناك عشاءً وكانت مرتا تخدِمُ وكان لعازرُ أحَدَ المتَّكئين معه*أمَّا مريمُ فأخذت رطلَ طيبٍ من ناردين خالص كثيرِ الثمن ودهنتْ قدمَيْ يسوع ومَسَحَتْ قدميهِ بشعرها* فامتلأ البيتُ من رائحةِ الطيب* فقال أحدُ تلاميذِهِ يهوذا بنُ سمعان الإسخريوطي الذي كان مزمعاً أن يُسلِمهُ لِمَ لم يُبَعْ هذا الطيبُ بثلاثِ مئةِ دينار ويُعطَ للمساكين*وإنَّما قال هذا لا اهتماماً منه بالمساكين بل لأنَّه كان سارقاً وكان الصندوقُ عنده وكان يحملُ ما يُلقى فيه* فقال يسوعُ دَعْها إنَّما حَفِظَتْهُ ليومِ دفني* فإنَّ المساكينَ هم عندكم في كلّ حين وأمَّا أنا فلستُ عندكم في كلّ حين* وعلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهود أنَّ يسوعَ هناك فجاءوا لا من أجل يسوع فقط بل لينظروا أيضاً لَعازر الذي أقامه من بين الأموات* فأَتَمَرَ رؤساءُ الكهنة أن يقتلوا لَعازرَ أيضاً* لأنَّ كثيرين من اليهود كانوا بسببهِ يذهبون فيؤمنون بيسوع* وفي الغد لمَّا سمع الجمعُ الكثيرُ الذين جاؤوا إلى العيد بأنَّ يسوعَ آتٍ إلى أورشليم أخذوا سَعَفَ النخل وخرجوا للقائهِ وهم يصرخون

الصليب، أم يسلّمه أو يجحده؟

من هذه الصلوات التي ترافق الفصول الإنجيليّة الأنديفونات الخمس عشرة التي تأتي بعد المقطع الإنجيلي الأول. تقسم هذه الأنديفونات إلى خمس مجموعات تتألّف كلّ منها من ثلاث أنديفونات، ويهدف هذا التقسيم الخماسي إلى التشديد على أن يسوع الذي سنراه مقبلاً إلى الآلام هو معطي الشريعة الحقّة (في مقابل كتب الشريعة الخمسة في العهد القديم التي تقبّلها موسى من الله): «ألم يضع الناموس وإنذار الأنبياء» (الأنديفونا الثامنة)، وهو الذي شق البحر وقاد شعبه من أرض العبوديّة في البريّة: «اليوم اليهود سمّروا على الصليب الرب الذي بالعصا شقّ البحر وأجازهم في القفر» (الأنديفونا السادسة)، «لأن هذا هو الذي في البحر خلّص وفي القفر عالَ (ساعد)» (الأنديفونا الثانية عشرة)، وهو يدعونا أن نثبت في هذه الشريعة القائمة على محبّة الله ومحبّة القريب: «أنتم أحبائي إن صنعتم ما أنا موصيكم به... هذه وصيّتي أن يحبّ بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحد حبّ أعظم من هذا أن يبذل نفسه عن أحبّائه» (من المقطع الإنجيلي الأول).

تبدأ الأنديفونا الأولى بالمشورة التي قرّر رؤساء الشعب اليهودي بنتيجتها القضاء على يسوع: «رؤساء الشعوب اجتمعوا على الربّ وعلى مسيحه»، وتدعو المؤمنين بالمقابل أن ينتصبوا أمام المسيح: «لننصب حواسنا نقيّة لدى المسيح، وكمحبّيه فلنضحِّ بنفوسنا من أجله، ولا نختنق مثل يهوذا بالمهمّات الدنيويّة، بل فلنهتف في مخادعنا: أبانا الذي في السموات، نجّنا من الشرير».

ثم تتتالى الأنديفونات التي تتحدّث عن يهوذا الذي سعى نحو الكتبة ليسلم يسوع إليهم، «ولم يشأ أن يفهم» ما هو مُقدم عليه بالرغم من إقامة لعازر وهتاف الشعب ليسوع عند دخوله إلى أورشليم وغسل يسوع أرجل التلاميذ وإعلانه على العشاء أن واحداً من تلاميذه سيسلمه، كلّ ذلك بسبب محبة يهوذا للمال الذي أدى به إلى العمى الروحي: «قد عمي بألم محبّة الفضّة، فسقط المُظلم من النور»، وبدل أن يكون تلميذاً «صار دافعاً». وفي حين لم يقدر التلاميذ أن يسهروا مع يسوع كان يهوذا يسعى باجتهاد لتنفيذ مخطّطه: «اليوم يهوذا يسهر ليسلم الرب الأزلي مخلّص العالم الذي أشبع جموعاً من خمس خبزات».

بعد ذلك نصل إلى المحاكمة وجحود بطرس، وكيف أن الذين اهتمّ بهم الرب وشفى مرضاهم وأطعمهم صرخوا «ليُصلب» وكيف احتمل ذلك صامتاً «مريداً أن يخلّصنا من آثامنا بدمه بما أنّه محبّ للبشر».

وفي خضم ما يحدث، وبالرغم ممّا فعله اليهود بالرب يسوع، إذ صلبوه، تهتف الكنيسة معلنةً القيامة: «أيها اليهود والفريسيون... أنظروا الهيكل الذي نقضتموه، شاهدوا الحَمَل الذي صلبتموه، قد دفعتموه إلى القبر، إلاّ أنّه قام بذات سلطانه. فلا تضلّوا يا يهود، لأن هذا هو الذي في البحر خلّص وفي القفر عالَ، وهذا هو الحياة والنور وسلام العالم».

في مقابل كل ذلك تدعو الكنيسة المؤمنين إلى الثبات في محبّة الرب يسوع مقابل تسليم يهوذا له: «لنخدم الله بالرحمة كمثل مريم على العشاء، ولا نمتلك محبّة الفضّة كيهوذا، لكي نكون مع المسيح الإله دائماً»، «أيّها الإخوة، لنمتلك المحبّة الأخوية كإخوةٍ للمسيح... ولا نندم كيهوذا فلا يجدينا ذلك نفعاً». وتدعونا إلى السهر حتى لا يغلبنا الشرير فنجحد يسوع: «إنهضوا وصلّوا ولا يجحدني

قـائـلـين: هـوشعنـا مبـاركٌ الآتـي بـاسـم الـربِّ، مـلـكُ إسرائـيل* وإنَّ يسوعَ وجد جـحشـاً فـركِـبـهُ كـمـا هـو مكتوبٌ* لا تخافي يا ابنةَ صهيون. ها إنَّ ملِكَكِ يأتيكِ راكباً على جحش ابنِ أتانٍ* وهـذه الأشيـاءُ لـمْ يـفـهـمـهـا تلاميذُهُ أوّلاً ولكن لمَّا مُجِّدَ يسوعُ حينئذٍ تذكَّروا أنَّ هذه إنَّـمـا كُـتـبتْ عـنـهُ وأنَّـهـم عمِلوها لـه* وكـان الـجمعُ الذين كانوا معه حين نادى لَعازر من القبرِ وأقامهُ من بين الأموات يشهدون لـهُ* ومـن أجـل هـذا اسـتـقـبـلـهُ الجمعُ لأنَّهم سمعوا بأنَّهُ قد صنعَ هذه الآية.

تأمل

وسط انبلاج الفرح والعيد أتـجـرأ وأوجّـه أسئلتي إلى هـؤلاء الأطـفـال الإلـهـيين: ماذا تقولون يا أولادَ الله الـمسبّـحـين إيـاه؟ كيف تـوازون بـأنـفسكم تسبيحَ الشـاروبـيم؟ كيف وأنـتـم تشاهـدون الـمسيـح عـلـى الجحش كإنسان تصرخون كما يليق بالله: أوصنا في الأعـالـي؟ نـعـم، يـجـيب الأولاد بـالـلـسـان الإلـهـي: المسيحُ جالس على جحش حقيقي لكنه لم يبتعد أبداً عـن الأحضـان الأبـويَّـة. يـجلس عـلى الـجحش دون عـرش الـشـاروبـيـم. هـذا الـمـتـجسّد الـذي لا يـفـارق أحد إذا ما شاهدني على الصليب»، «فـاسـهـروا وصلّوا لـئلاّ تدخلوا في الـتـجـارب، أمّـا الروح فمستعدّ وأمّـا الـجسد فـضـعـيـف، فـمـن أجل هـذا اسهروا». وتذكّرنا بموقف اللص على الصليب: «إنّ الـتلـمـيذ أنكر جاحداً، واللص هتف قائلاً: اذكرني يا ربّ في ملكوتك»، «إنّ اللص أبدى نغمة صغيرة وهـو على الصليب فوجد إيـمـانـاً عظيماً، وخلص في لحظة واحـدة وفـتـح أبـواب الـفـردوس أولاً ودخل».

وإذ نصل إلى اللحظة الحاسمة، ونرى الـكـاهـن حـامـلاً صليب الربّ يسوع وخارجاً من الهيكل، نعلن أنّنا سنـبـقـى مـع الربِ يسوع المصلوب ونهتف مع المرتل: «اليوم علّق على خشبة الذي علّق الأرض على المياه... نسجد لآلامك أيـهـا الـمسيـح فـأرنـا قيامتك المجيدة»، ونعلن إيماننا بأنّ الرب سيقوم ويخلّصنا لأنّ صليبه حـيـاة وقـيـامـة لشعـبـه: «لا نعيّدنّ كاليهود لأن فصحنا المسيح الإله ذُبح لأجلنا، لكن فلننقّ ذواتنا من كلّ دنس ونتوسل إليه بطهارة قائلين: إنهضْ يا ربّ وخلصنا بما أنّك محبّ لـلـبشر»، «يـا ربّ إنّ صـلـيـبك حياة وقيامة لشعبك وعليه نتّكل وإيّاك يا إلهنا الذي صُلبتَ نسبّح فارحمنا».

السبت العظيم المقدس

«مـا هـذا الصمت غير المحدود المخيّم على الأرض في هذا اليوم؟ صمتٌ عـظـيـم وهـدوء كـثـيـر. صمت عظيم لأن الملك نائم. خشعت الأرض فـاسـتـراحت لأن الإلـه رقد بـالـجسد. مـات الإلـه بـالـجسد وارتـعـدت الـجـحـيـم...» (الـقـديس أبـيـفـانـيوس القبرصي).

يوم «السبت العظيم المقدس» هو الـيـوم الـذي يصل يـوم الـجـمـعـة المقدس، ذكرى الآلام، بيوم القيامة. هذا اليوم هو أكثر أيام السنة الطقسيَّة تعقيداً إذ يتنازعه في آن حزن الآلام وفرح القيامة. تركز الكنيسة في سبت النور انتباهنا على قبر السيِّد الذي يتوسط حدثي الصليب والقيامة. نقف أمـام قـبـر السيِّـد عـالـمـيـن ان الـرب بـمـوتـه عـلـى الصلِيب سحق الموت ومـنـتـظـرين تـجـلـّي هـذا الإنـتـصـار بإعلان القيامة يوم الفصح. وكأننا بالسبت العظيم هو يوم تحوّل الحزن إلى فرح.

سبت النور لا يستبدل الحزن بـالـفـرح، إنـمـا يـحـوِّل الـحـزن إلى فرح. لـذا حـتـى فـي خـدمـة جـنـاز المسيح، التي هي ليتورجياً صلاة سحَر سبت النور، والتي قد تبدو أنـهـا حـدث حـزيـن، نـتـلـمـس هـذا التحوّل من ندب الميت إلى إعلانٍ للقيامة. تصعدنا الخدمة تدريجياً مـن الـنـوح مـع حـامـلات الـطـيب ويـوسـف الـمـتـقـي «الـذي أحـدر جسدك الـطـاهـر مـن الـعـود ولـفـه بالسباني النقيَّة وأضجعه في قبر جديد»، إلى الرجاء بفرح مع قراءة حزقيال النبي (٣٧:١-١٤) التي تصف رؤيـتـه لـلـعـظـام الـجـافـة الـعـائـدة إلـيـهـا الـحـيـاة والـلابـسـة مجدداً لحماً بقوة الروح، والتي هي إشارة إلى المسيح القائم من بين الأموات الذي سيقيم الجميع معه. مـا بـيـنـهـمـا نـرتـل الـتـقـاريـظ التي هي مزيج وصراع بين الفرح والحزن. حزن لموت السيد وفرح بالخلاص الناتج عن هذا الموت «أيـهـا الـكـلـمـة فـرحـي وسـروري، لا أطـيـق دفـنـك الـثـلاثـي الأيـام، فضلوعي تحرقت كالأمهات». «يا مسيحي الـخـالـقْ إذ أودعتَ الـقـبـرَ أسُسُ الـجـحـيمِ منكَ تزَلزَلَتْ وقبورُ المائتينَ انفتَحَتْ». «أسجد لآلامك وأسـبّـح دفـنـك، وأعـظـم يـا خـالـقي عزتك، إذ بها خلصتنا من الآلام». كما نرتل أيضاً تبريكات القيامة «مبارك أنت يا رب علمني حقوقك»،

المائتين يوجد في الوقت نفسه في السماء إلهاً حقيقياً سيّد كل العالم والأمم، رازقاً، خالقاً، مُرشداً، مخلّصاً الجميع. هذا هو الذي يدخل إلى أورشليم الأرضية دون أن يفارق السماوية. هذا هو مبدع الدهور، يأتي من الدهور متجهاً نحو أبد الدهور. هو الذي وحده بسط السماء، يمشي على البحر كأنه على اليبس. يلفّ البحر بالسحاب. هو الذي صوّر مفاتيح الإنسان، نظّم حدود البحار، علّق الأرض على المياه، كسا الزهورَ جمالاً، بسط السماء كالرداء وزيّنها بالنجوم البرّاقة. منه ترتعد الشاروبيم وتخاف السيرافيم. إياه تسبّح الشمسُ ويمجّد القمر. له ترتل النجوم وإياه تخدم الينابيع. منه ترتجف اللجج وتجزع الأعماق. له تخضع وحوشُ البحار، ومنه ترتجف الشياطين.

المطر يخدمه والرياح توليه احتراماً. هو الذي أعطى لكل واحد طبيعته، أبدع الخلائق، فرز الرتب، أبدع كائنات الأرض والسماء كلّها، ربّنا وإلهنا له المجد والقدرة إلى الدهور، آمين.

القديس أبيفانيوس القبرصي

التي ترتل أيام الآحاد وذلك استباقاً لحدث القيامة.

يعتبر موت المسيح، كلمة الله الأزلي، ودفنه من أصعب مسائل الإيمان المسيحي: الله الذي لا يموت موضوعاً في قبر. فكما ارتاح في اليوم السابع من كل عمل يرتاح اليوم، يوم سبت النور، من عمل تجديد الخليقة. موحّداً ذاته مع البشريَّة حتى بالموت، ينزل حيث مكان الموتى، إلى حيث الموت يأسر الجنس البشري الساقط. لكن موت السيد على أيدي البشريَّة الساقطة هو انتصاره على الخطيئة والموت: لحظة موته هي لحظة تمجيده. انحداره إلى الجحيم هو الغلبة على الجحيم وتدمير قوَّة الموت واستعادة حياة البشريَّة الساقطة. ألم يُقِم الموتى لحظة موته؟

المسيح بطاعته أنقذ البشرية التي سقطت بسبب عدم الطاعة. هناك على الصليب عندما مات أكمل خلاصنا وأقامنا في شركة كاملة جديدة مع الله. هناك حطم أبواب الجحيم وفتح أبواب الفردوس. هناك وصلت رحلة الصوم إلى قمتها ولم يبقَ إلا الوصول إلى يوم القيامة للإحتفال بنتائج ما حققه موت الرب يسوع، الاحتفال بالقيامة والمشاهدة الروحية للذين قاموا لحظة موته على الصليب «وخرجوا من القبور بعدَ قيامَتِهِ ودخلوا المدينةَ المقدَّسةَ وظهَروا لكثيرينَ» (متى ٥٣:٢٧)، ومعاينة المسيح القائم من بين الأموات.

ما بين الصليب والقيامة تضعنا الكنيسة يوم السبت العظيم المقدَّس أمام قبر السيِّد، وتدعونا في قداس سبت النور لأن نصمت ونقف بخوف ورعدة أمام عظمة الحدث: «ليصمت كل جسد بشري، ويقف مائلاً بخوف ورعدة، ولا يفتكر في نفسه فكراً أرضياً. لأن ملك الملوك ورب الأرباب يوافي ليُذبح ويُدفع طعاماً للمؤمنين...». لا حاجة للكلام في سبت النور، فقط لنقف ونتأمل برعدة وخوف هذا السر العظيم، سر خلاص البشر. في القداس ينثرِ الكاهن الغار، علامةً للنصر، ويرنم «قم يا الله واحكم في الأرض». إنما لا نرتل في هذا اليوم «المسيح قام...». رب المجد في قبر، ولكنه قائم بالتأكيد ونحن على يقين من ذلك. نريد استعجال القيامة، لكنه يوم استراح فيه الرب من كل أعماله، من خلقه الجديد.

في يوم السبت العظيم نقيم ذكرى راحة المسيح في القبر وانحداره إلى عالم الموت، ونتذكر الثمن المدفوع لتحريرنا من الموت والفساد. نعلن ان ابن الله الوحيد الأزلي أتى إلى العالم لهدف واحد: أن يموت لكي ننال الحياة ونحيا في شركة أبدية مع الثالوث المقدس. السبت العظيم يدعونا لأن ندخل بصمت ورعدة إلى داخل أنفسنا، ونأخذ القرار بأن نصلب الشر في داخلنا، في نفوسنا والآتي إلينا من حولنا، أن نميت إنساننا العتيق ونصلبه على صليب الرب المحيي لنقوم مع يسوع إلى حياة جديدة يوم الفصح، يوم القيامة. ان حياة الإنسان المسيحي هي مثل خبرة الإنتظار التي نحياها في سبت النور. في سبت النور ننتظر قيامة الرب بعد الصلب، وفي حياتنا نحيا منتظرين القيامة العامة بعدما صلبنا أهواءنا وشهواتنا والخطايا التي تداهمنا. وكما يقيننا بأن القيامة آتية بعد سبت النور كذلك يقيننا اننا سنكون من أبناء القيامة العامة إذا ما عشنا صليب المسيح في حياتنا كل يوم.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb